



التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار/عنابة (الجزائر)

التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن



كلية الآداب والعلوم والإنسانية-جامعة باجي مختار/عناية

إدارة المجلة:

مدير المجلة: أ. د. عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د. محمد بلوهم

أمانة التحرير:

-أ. نظيرة الكتر

-أ. نجاة عرب الشعبة

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عناية،

ص ب 12. عناية 23000/الجزائر

الهاتف والفاكس: 49-51-84-(038) / 25-75-84-(038)

البريد الإلكتروني: ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الترقيم الدولي الموحد للمجلات: ISSN 1112-7597

العدد الأول: جوان 2007.

أعضاء هيئة التحرير:

- 1-د. محمد بلواهم
- 2-أ. نظيرة الكثر
- 3-أ. نجاد عرب الشعبة

أعضاء الهيئة الاستشارية:

- 1-أ. د مختار نويوات (جامعة عنابة)
- 2-أ. د عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)
- 3-أ. د الطيب بودربالة (جامعة باتنة)
- 4-أ. د عبد الواحد شريفني (جامعة وهران)
- 5-أ. د عز الدين مخزومي (جامعة وهران)
- 6-أ. د حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)
- 7-أ. د عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)
- 8-أ. د أحمد منور (جامعة الجزائر)

الأعضاء

- 1-أ. د الطاهر رواينية
- 2-أ. د حفناوي بعلي
- 3-د. صالح ولعة
- 4-أ. نسيم عيلان
- 5-أ. عمار رجال
- 6-أ. عبد الحليم منصوري
- 7-أ. علي خفيف

شروط النشر في المجلة:

- 1- تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدة والأصالة.
- 2- ترسل الدراسات في نسختين وقرص مرن، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 24×16، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.
- 3- تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word) أو نظام (RTF).
- 4- ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.
- 5- تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.
- 6- تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.
- 7- المقالات لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- 8- المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن المجلة.
- 9- يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلآت من المقال.
- 10- ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن العنوان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، ص ب 12- عنابة 23000/ الجزائر.

الهاتف والفاكس: 038-84-51-49 / 038-84-75-25

البريد الإلكتروني: ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الفهرس

الموضوع	الصفحة
افتتاح/ كلمة مدير المجلة.....	7-6
قراءة في العدد بقلم رئيس التحرير.....	12-8
1- من عولة الأسطورة إلى أسطورة العولمة(بحث في الأصول الشرقية لبعض الأساطير الغربية)	
أ. عبد الحليم منصوري.....	25-13
2- في الأسطورة والأسطورة الأنثوية (مقاربة نظرية في الماهية والحدود).	
أ. نظيرة الكتر.....	42-26
3- الخطاب النسوي في أسطورة شهرزاد الأدبية.	
أ.د عبد المجيد حنون.....	60-43
4- حضور إلياذة هوميروس في أدب النوبة بمصر	
أ. نسيمة عيلان.....	70-61
5- فاوست ومسرحية "السراب" لسعد الله ونوس	
أ.عمار رجال.....	79-71
6- الممارسة النقدية عند الآمدى من خلال كتابه " الموازنة بين الطائين "	
أ.نورة جبلي.....	89-80
7-أبعاد التوظيف التراثي عند طه حسين	
أ. ماجدة بن عميرة.....	111-90
8-عز الدين المناصرة .. ناقدا أدبيا وثقافيا ومقارنا	

أ. د حفناوي بعلي 142-112

9- حدود الأدبية

أ.د. الطاهر رواينية..... 149-143

10- مكونات الصورة السردية وموضوعاتها في قصص الأطفال.

أ. عائشة رماش..... 162-150

11- الفن الروائي وفعالية المصطلح النقدي

أ نجاة عرب الشعبة..... 179-163

12- القراءة والتأويل

د. صالح ولعة..... 196-180

13- سيمياء الفضاء المسرحي

د. إسماعيل ابن صفية 210-197

14- تحولات العشق قراءة في قصيدة "بيروت" لمحمود درويش

د . أحمد ياسين العرود..... 240-211

15- المستشرقون ودراسة الأدب العربي

أ. فتيحة سريدي..... 263-241

16- المخبر في سطور..... 265-264

كلمة مدير المجلة:

أيها القارئ الكريم

يسرّ أسرة مخبر الأدب العام والمقارن أن تقدم إليك هذا العدد الأول، من مجلة التواصل الأدبي التي يعتزم أن يصدرها مرتين في السنة لنشر نتاجه في ميادين اهتمام أعضائه العلمية مثل الأدب العام والمقارن والنقد وتحليل الخطاب والأدب التمثيلي والأدب الهامشي... إلخ، ونشر كل جديد في الميادين السابقة الذكر يرد إليه من المختصين والمهتمين داخل الوطن وخارجه سعياً منه إلى تبيين الجهود البحثية واستقطاب الكفاءات العلمية في هذا المجال المعرفي الذي حقق نتائج باهرة عند الآخرين ومازال يخطو خطواته الأولى عندنا رغم عظمة الظاهرة الأدبية العربية وثرائها وتنوعها لسانيا وأجناسا، ورغم تفاعلاتها الداخلية والخارجية قديما وحديثا.

يصدر المخبر العدد الأول من مجلته الآن، بعدما سلخ من عمره سبع سنوات أرسى فيها دعائمه وهياكله، وأنجز عددا من مشاريع البحث، والنشاطات العلمية وكون عددا معتبرا من طلبة الماجستير والدكتوراه في مجالات ذات صلة وثيقة بطبيعة المخبر، وبذلك أصبح يتوفر على طاقات وكفاءات تمكنه من إصدار مجلة يريد بها علمية أكاديمية تعمل من أجل تراكم معرفي في الأدب العام والمقارن وكل ما يتصل به.

اختار المخبر لمجلته اسم التواصل الأدبي تماشيا مع اهتماماته التي تقوم أساسا على دراسة الظاهرة الأدبية في تفاعلاتها الداخلية والخارجية شكلا ومضمونا؛ أي في تواصلها مع الأنا والآخر، وبالتالي فإنّ همّ المخبر الأساس يتمثل في دراسة ما يحدثه الأدب من تواصل، الأمر الذي جعل هيئة التحرير تختار هذا الاسم لتواصل أدبيا مع الماضي والحاضر، مع الأنا والآخر، وبالتالي تتواصل مع الحياة عن طريق دراسة الأدب بواسطة مجلة التواصل الأدبي.

تسعى هذه المجلة، من خلال هيئتها المدبّرة وهيئتها العلمية ومن خلال كلّ الكفاءات التي ستسهم فيها إلى الثبات والاستمرار في الزمان والانتشار عبر المكان لتبليغ رسالتها المعرفية إلى كلّ قارئ مهتم بقضايا الأدب العام والمقارن داخل الجزائر أو خارجها، عن طريق الصدور مرتين كلّ سنة في شكل مجلة ورقية في المرحلة الأولى؛ والانتقال إلى صيغة رقمية بعد ذلك في مرحلة ثانية تماشياً مع متطلبات العصر. ولتحقيق ما سبق ذكره، فإنّ المجلة ترحّب بكلّ الكفاءات العلمية المهتمة بقضايا الأدب العام والمقارن للإسهام فيها وإثرائها بما يجد من بحوث ودراسات، بغية ترسيخ ثقافة أدبية أصيلة من جهة ومتفتحة على التطوّر المعرفي وعلى الآخر من جهة أخرى. ويبقى نجاح هذه المجلة واستمرارها رهين تضافر جهود المخبر والباحثين والقراء لفائدة الجميع أولاً والتطوّر المعرفي ثانياً.

مدير المخبر

أ.د. عبد المجيد حنون

قراءة في العدد

هذا العدد، هو فاتحة مجلة التواصل الأدبي التي يصدرها مخبر الأدب العام والمقارن، ويجب ألا يخفى أن المخبر يضيف بهذا الصنيع نشاطا آخر إلى جملة نشاطاته الفكرية السابقة.

تهدف المجلة عبر هذا الفضاء النوعي الذي يقصر عملها على مجال الأدب العام والمقارن، إلى إتاحة الفرصة أمام الأقلام المتخصصة لكي تفري فريها في هذا المجال. ومن أجل إدراك تلك الغاية كان لزاما على القائمين على المجلة الأخذ بنظر الاعتبار الأساسيات التالية:

أ. الانفتاح على الآخر: حيث يقتضي الانفتاح عدم التقوقع على الذات والاكتفاء بما مرسلا ومتلقيا وحسب، ويشير الآخر إلى الأمم الأخرى التي تتميز عنا عرقا، وثقافة، وبالتالي تتحول إلى مصدر مهم يغذي حياتنا الفكرية.

ب. الامتداد في المكان: يتم التواصل مع الآخر وفقا لهذا الامتداد في شتى أصقاع الكرة الأرضية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

ج. الامتداد في الزمان: يتم بموجبه معالجة القضايا الخاصة بهذا الحقل قديما وحديثا على حد سواء، ولذلك تجددنا نفتش بعين في التراث الإنساني القديم، ونلاحق بأخرى ما يستجد حديثا.

لا شك في أن المجلة تخطو بفضل هذا العدد أول خطوة باتجاه ما تطمح إليه وفق ما يتبدى من جملة القضايا المتنوعة الواردة في هذا العدد، فإلى جانب الحديث عن الأسطورة والملحمة، نلقى الحديث عن السيمياء ونظرية التلقي.

ولعل هذه القراءة الموجزة في هذا العدد، تنير الكثير من الأمور:

-الأسطورة :

ارتبط ميلاد الأسطورة بتكون المجتمعات الإنسانية قديما، وهو ما يعرف على الصعيد الحضاري بالطور البدائي، ولكنها ما فتئت تخترق آفاق الأطوار الحضارية المتعاقبة، ويكفي دليلا على ذلك، أنها مازالت تحظى بالاهتمام في عصرنا الراهن، بالرغم من التطور العلمي المذهل الذي جعل " ماروزو " يجزم بأن عقلية الشعوب المعاصرة ليست عقلية أسطورية أو لا ملحمية.

ولكن هناك من يرجع عدم موت الأسطورة في العصر الحديث إلى الشائبة الحادة التي تعيشها الإنسانية (بداوة/ حضارة)، فهو بدائي و حضاري في آن.

وفي هذا السياق يرى "يونغ" أن الفكر البدائي مستمر عبر النماذج العليا L'archétypes، حيث تنسرب الأفكار القديمة عن طريق اللاوعي الجمعي وبالتالي تستمر.

ويعزز هذا الرأي (ت.س إليوت) في قصيدته "الأرض الخراب أو الياب" بأن الإنسانية تعيش حالة بداوة بالرغم من هذه القشرة الخارجية التي تسمى حضارة، وعلى حد قول نزار قباني : " لبسنا لباس الحضارة والروح جاهلية".

ومن المنطقي أن يؤدي استمرار هذا الفكر الأسطوري إلى أسطورة اللاأسطوري، بإضفاء بعض الخصائص التي تضعه في مصاف الأسطوري، كصنيع بعض الأدباء حين يبالغون في وصف بعض المشاهد أو رسم بعض الشخصيات.

دارت المقالات الخاصة بالأسطورة في هذا العدد على تحديد مهد الأساطير، وماهيتها، وأنواعها، وتحليلاتها الأدبية عبر عصور مختلفة.

يحدد عبد الحليم منصور من خلال بحثه الموسوم بـ [من عوالة الأسطورة وأسطورة العوالة (بحث في الأصول الشرقية عن بعض الأساطير الغربية)] أن مهد

الأسطورة الشرق والغرب على حد سواء، مؤكدا هجرة الأساطير من مكان إلى آخر من خلال إمالة اللثام عن الأصول الشرقية لبعض الأساطير الغربية.

وتحدد نظرية الكثر في بحثها [في الأسطورة والأسطورة الأنثوية (مقاربة في الماهية والحدود)] ثلاثة مصادر للأسطورة، أو ثلاث مركّزات على حد تعبيرها، هي :

1. المرتكز الأسطوري

2. المرتكز الديني

3. المرتكز التاريخي

وذلك إلى جانب تحديد مفهوم الأسطورة وانقسامها الثنائي (ذكر/ أنثى).

ويؤكد عبد المجيد حنون هذا الاختلاف القائم بين الأساطير الذكورية والأنثوية من خلال نشوء خطاب نسوي مناقض للخطاب الذكوري، وبالتالي نشوء كتابة أنثوية مضادة للكتابة الذكورية.

وقد أدى ذلك إلى تحول أسطورة شهرزاد من شهرزاد الأمة الخادمة المطيعة إلى شهرزاد السيدة المتحكمة في مصير شهریار، كما يتجلى ذلك في الكتابات الأنثوية المعاصرة.

وتطرح نسيمه عيلان قضية رحلة الأجناس الأدبية، واختراقها آفاق ثقافية غير التي نشأت فيها، كدأب إلياذة هوميروس التي تلمّست حضورها في أدب النوبة كما يتجلى في بحثها الموسوم بـ (حضور إلياذة هوميروس في أدب النوبة بمصر).

ويؤكد عمار رجال هذا الانفتاح من خلال استلهم سعد الله ونوس في مسرحيته "السراب" أسطورة فاوست وبالتالي شيطانه مفستوفيليس رمز الشر للكشف عن معاناة الشعوب العربية من ظلم حكامهم.

وحظي التنظير النقدي بجملة من الأبحاث، منها ما هو خاص بالنقد العربي قديما وحديثا، وعالجت الأبحاث الأخرى قضايا نقدية عامة.

كشفت نورة جبلي من خلال بحثها الذي عنوانته بـ (الممارسة النقدية عند الآمدي من خلال كتابه الموازنة بين الطائيتين) عن نضج النقد العربي من خلال التأسيس النظري والإجراء العملي، كما يتضح من موازنة الآمدي الذي يعد أحد الوجوه البارزة في الحركة النقدية في القرن الرابع الهجري.

وأبرز بحث ماجدة بن عميرة (أبعاد التوظيف التراثي عند طه حسين) أهمية هذا التراث واستمرار إشعاعه في العصر الحديث.

ويؤكد حفناوي بعلي تطور الحركة النقدية بعد طه حسين حين يكشف عن تعدد جهود الناقد عز الدين المناصرة كما يدل بحثه (عز الدين المناصرة ناقدا أدبيا وثقافيا ومقارنا)، ويدل النقد الثقافي عن ملاحقة الجديد الناشئ في الساحة النقدية.

ويدل بحث الطاهر رواينية (حدود الأدبية) على تمايز الحقل الأدبي عن الحقول المعرفية الأخرى، حيث يدل مصطلح الحدود على انغلاق النسق الثقافي الأدبي.

وينقسم هذا النسق الكبير إلى مجموعة من الأنساق الصغرى المتميزة، تؤدي إلى نشوء الأجناس الأدبية المتميزة فيما بينها تمايز الصورة السردية في قصص الأطفال كما تلحّ على ذلك عائشة رماش في بحثها الموسوم بـ (مكونات الصورة السردية وموضوعاتها في أدب الأطفال).

وفي سياق تمايز الأجناس الأدبية تربط نجاة عرب الشعبة في بحثها (الفن الروائي وفعالية المصطلح النقدي) بين تطور الفن الروائي وتكثّر المصطلح النقدي، وهذا نتيجة طبيعية لتعدد المذاهب الأدبية واختلاف المناهج النقدية، وهو الأمر الذي يبرزه بحث صالح ولعة الموسوم بـ (القراءة والتأويل) هذا المنهج الذي يعطي سلطة للمتلقي، ويمثل ثالث محطة في سياق تطور المناهج النقدية حديثا، التي مرت بمرحلة منظومة المناهج السياقية التي تعطي سلطة للمرسل وسلطة للنص، ثم سلطة للمتلقي.

ولم يبق هذا التوجه حبيس البحث النظري، بل طبق على العديد من الأجناس الأدبية كما يتجلى في بحث إسماعيل بن صفية الموسوم بـ (سيمياء الفضاء المسرحي) حيث يتلقى المتلقي رسائل من الركح سمعية وبصرية تتعدد بتعدد المسرحيات، يعمل على فك شفراتها وتأويلها وفقا لمنظوره الخاص.

وهكذا تتنوع القراءات بتنوع القراء على غرار ما يظهر في بحث أحمد ياسين العرود الذي عنون بحثه (تحولات العشق، قراءة في قصيدة لمحمود درويش) وقد اجتهد الناقد في سبر أغوار هذه القصيدة وإثارة المناطق المظلمة.

وتبرز فتحة سريدي موقف الآخر (الغرب) من إنجازاتنا الثقافية، وحاولت إماطة اللثام عن عناصر الجذب التي دفعت الآخر إلى الإقبال على تلقي موروثنا في مظاهره المختلفة الأدبية وغير الأدبية، وهو ما يغري بالمزيد من التأمل في هذا الموروث.

إن أول الغيث قطر، ونأمل أن يكون هذا العدد أول قطرة سينهمر بعدها

الغيث.

رئيس التحرير

د. محمد بلواهم

في الأسطورة والأسطورة الأنتوية

"مقاربة نظرية في الماهية والحدود"

أ. نظيرة الكتر

جامعة عنابة

1- ماهية الأسطورة:

ارتبطت الأسطورة بالإنسان البدائي وكانت ملاذه للإجابة عن تساؤلات عدة، عجز عن إدراك كنهها فأرجعها إلى قوى غيبية ما ورائية تتحكم في الكون، ويمكن أن نرسم رؤية عامة للكون والطبيعة، عند الشعوب الأولى من خلال أساطيرهم ومعتقداتهم وممارساتهم الخرافية، وقد حفظ التاريخ الإنساني الكثير منها، وهي تلخص في مضمونها العام الحلم الإنساني الجمعي ورؤاه العظيمة في مواجهته لهذه القاهرات المتشعبة "السلطة والطبيعة والزمن". بمستوياتها المختلفة «وتسترجع الأسطورة راهنية الزمان الكبير استرجاعا مستمرا، وهي بذلك الفعل تسقط من يستمع إليها في مستوى إنساني وتاريخي أرقى وأسمى، مستوى يتيح للمرء من بين أمور أخرى الاقتراب من واقع يستحيل بلوغه على مستوى الوجود الدنيوي الفردي». (1)

تعبّر الأسطورة عن تصورات جماعية مشتركة أنتجتها المخيلة البشرية وأودعت فيها كل طاقاتها الجمالية والإنسانية وأجابت عن تساؤلات كثيرة، كما وضعت حداً لبعض التساؤلات، مما زاد في جاذبيتها من جهة واستمرارها من جهة أخرى. ولعل أفضل مثال على خصوبة العقل البشري ما ابتدعه الإنسان من أساطير حاول من خلالها أن يرسم رؤيته للوجود ومثلما تصور الإنسان قوى أسطورية خيرة تحمل بذور الأمن والسلام للإنسان تصور كذلك قوى أسطورية شريرة تحتزن الخوف وعدم الاستقرار.

ولا شك أن منتج الأسطورة ومستهلكها لم يفكر في وضع تعريف واضح يفسر ما أنتجه ويبرز خصوصية الأسطورة من حيث أنواعها ووظائفها، وإنما بدأ البحث في هذا النتاج البشري في عصرنا الحاضر؛ وهذا أمر بديهي لأن مرحلة وجود الشيء تسبق بالضرورة مرحلة التقنين له، ومن هذا المنطلق، كان تحديد ماهية الأسطورة وأنواعها ووظائفها من أهم الإشكالات المنهجية التي واجهت الباحثين والدارسين المهتمين بعلم الأساطير (Mythology)، ولعل مرجع ذلك تقاطع الأسطورة مع أجناس أدبية وأشكال فنية تعبيرية أخرى وتداخلها معها من حيث المادة أو المحتوى أو التقنيات أو كلها معا مثل الخرافة أو السيرة أو القصة الشعبية أو الملحمة تداخلا يجعل التمييز بينها صعبا في بعض الأحيان، وبصفة خاصة عندما يتسع ميدان الدراسة إلى آفاق مختلفة زمانا ومكانا. و«قد تتداخل الحدود بين الخرافة والحكاية الشعبية والحكم والأمثال الشعبية أما الأسطورة فتبقى نسيجاً متميزاً. ورغم أن كلاً من الخرافة والحكاية الشعبية والحكم والأمثال تلعب دوراً ثقافياً شبيهاً بدور الأسطورة إلا أنها لا تمتلك قوة التأيد الذاتي التي تمتلكها الأسطورة، والنابعة من قداستها وطابعها الاعتقادي والإيماني ومنشأها وقلبها الفني ونبالتها.»⁽²⁾

تنوزع الأسطورة على حقول معرفية شتى لها ميادينها ومناهجها الخاصة مثل: علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والأنثروبولوجيا والأديان والفن... إلخ، الأمر الذي يجعل ماهية الأسطورة تتعدد بتعدد المنطلقات الفلسفية والمعرفية والإجراءات المنهجية لهذه الحقول. ومع ذلك فإن معرفة بنية وقيمة ووظيفة الأساطير في المجتمعات التقليدية، ليس فقط أن نلّم بمرحلة في تاريخ الإنسانية ولكن أن تتمكن من معرفة معاصرنا.⁽³⁾

تتفق معظم المعاجم العربية مثل: تاج العروس، والصحاح والقاموس المحيط مع ما ورد في لسان العرب، أن الأسطورة من مادة " سَطَرَ " يَسْطُرُ سَطْرًا . والسَطْرُ الصَّفُّ مِنَ الشَّيْءِ كَالْكِتَابِ وَ الشَّجَرِ وَ النَخْلِ وَ غَيْرِهِ (...). وَالْأَصْلُ فِي السَّطْرِ (الْخَطُّ وَ الْكِتَابَةُ) (...) وَ الْأَسَاطِيرُ، الْأَبَاطِيلُ وَ الْأَكَاذِيبُ (...) بِمَعْنَى أَحَادِيثُ لَا نِظَامَ لَهَا (...) وَ سَطَرَ تَسْطِيرًا أَلَفَ (...) يُقَالُ سَطَرَ فَلَانٌ عَلَيْنَا يَسْطُرُ إِذَا جَاءَ بِأَحَادِيثَ تُشَبِّهُ الْبَاطِلَ . يُقَالُ هُوَ يَسْطُرُ مَا لَا أَصْلَ لَهُ أَيْ يُؤَلِّفُ (...) وَ يُقَالُ سَطَرَ فَلَانٌ عَلَى فَلَانٍ إِذَا زَخَرَفَ لَهُ الْأَقَاوِيلَ وَ نَمَّقَهَا وَ تِلْكَ الْأَقَاوِيلُ هِيَ الْأَسَاطِيرُ وَ السَطْرُ. (4)

يتبين من التحديد اللغوي أن كلمة الأسطورة كانت تحمل عند العرب القدامى معاني وإيحاءات دلالية متعددة أهمها النظام والثبات في عملية التسطير والتأليف الذي يتركز على الخيال والتخيل وتزين الكلام وزخرفته مما يسمح باختلاط الصحيح بالباطل والتباسه به، ومن ثمة كانت الأساطير عند القدماء ترادف الأباطيل، وتوحي مادة "سطر " بالاستمرارية من خلال ما يخلفه فعل التسطير في الأرض أو على الورق وغيره ؛ وعليه فإن هذه الدلالات اللغوية: (الثبات والنظام والاستمرار) يمكن أن نعتبرها من خصائص الأسطورة.

وترد الأسطورة في المعاجم والموسوعات الغربية بمصطلحين اثنين هما: الأسطورة (Mythe)، و"ميثولوجيا" (Mythologie)، والمصطلح الأول مشتق من الكلمة الإغريقية (Mythos) أو الكلمة اللاتينية (Muthus)، وتعني عند القدماء حكاية شعبية أو خرافية أنتجها الإنسان وتداولها للإجابة عن تساؤلات طرحها على نفسه نتيجة تفاعله مع ظواهر الكون أو الطبيعة أو قصد تنظيم حياته، وتكون في قالب سردي شفوي قوامها فنانة يقينية ذات طابع قداسي تزخر برموز غيبية ما ورائية تصور ما يختلج

في عقل الإنسان أو وجدانه خلال تفاعله القلق مع الكون و مظاهره، الأمر الذي جعل الأسطورة تحفل أساسا بالآلهة و أنصاف الآلهة و الأبطال الخارقين و ما يربطهم بالإنسان العادي .

أما المصطلح الثاني فهو مشتق من الكلمة الإغريقية (Muthologia) أو من الكلمة اللاتينية (Mythologia) . بمعنى يحمل أساطير شعب أو الفرعونية أو البابلية ؛ أو فترة زمانية مثل أساطير الجاهلية أو أساطير القرون الوسطى ؛ أو يحمل أساطير عن موضوع من الموضوعات مثل أساطير الموت والبعث أو أساطير الخصب و النماء... إلخ ، وترد أيضا بمعنى علم الأساطير أو دراستها .

يتضح من خلال عرض التعريف اللغوي عند العرب والغربيين جملة من الخصائص التي تميز الأسطورة وهي: "الثبات والنظام والاستمرارية واعتمادها عنصر الحكيم وطابعها الجماعي وارتباطها بالعجيب الخارق، وهذه المحددات اللغوية سوف يعتمد عليها منظرو الأسطورة - كل حسب تخصصه - في تحديدهم لماهيتها وأنواعها ووظائفها، وتؤكد الموسوعة العالمية أنه يهتم بالأسطورة علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع والمشتغلين بالثقافة والفلكلوريين ومؤرخي الأديان، ومؤرخي الأفكار، والحقوقيين والاقتصاديين وعلماء الآثار، وعلماء الكلام، والحقوقيين، وعلماء النفس والمحللين النفسانيين والفلاسفة.⁽⁵⁾ ومن هذا المنطلق تعددت تعاريف الأسطورة حسب الحقول المعرفية السابق ذكرها، والمنطلقات المنهجية المميزة لكل حقل معرفي.

ب/ التحديد الاصطلاحي:

يعرف بعض الإثنوغرافيين أمثال "مرسيا إلياد" Mercia Eleade الأسطورة بقوله: «حكاية مقدسة، تروي حدثا جرى في الزمن الأول، أي زمن البدايات العجيب، وبعبارة أخرى فالأسطورة تحكي لنا كيف جاءت حقيقة معينة إلى الوجود. سواء أتعلق الأمر بالحقيقة المطلقة مثل حقيقة الكون أو مجرد حقيقة جزئية مثل جزيرة أو جنس نباتي

أو سلوك بشري، أو تعلق الأمر بمؤسسة، وهي بالتالي حكاية خلق دائما: تتعلق بتوضيح كيف خُلِق شيء معين، وكيف بدأ يتجلى. «⁽⁶⁾ فهي من هذا المنطلق الإناسي حكاية تقليدية مقدسة، ومجهولة المؤلف، تفسر أصول الظواهر الإنسانية والطبيعية، وتُقنن من خلالها ثقافة معينة أعرافها الاجتماعية، تتجلى في قالب شفوي رمزي إلا أنها تختلف عن بقية الأنواع السردية من حيث القيمة والمادة والتقنية.

أظهر انتقال المصطلح إلى المقارنين تباينا في مفهومه فعند "بول فون تيغم": «الأساطير: هي الأحداث أو مجموعات الأحداث التي لها كممثلين بعض الأبطال الخوارق الأسطوريين أو التاريخيين، إنهم أبطال يقدمون نماذج فريدة من الإنسانية، ومع ذلك فبإمكان كل كاتب عندما يتناولهم بالبحث أن يطور ويحوّر إلى حد ما.»⁽⁷⁾

يؤكد تعريفه ارتباط الفعل الأسطوري بما هو خارق ونموذجي، ويضيف في الوقت نفسه إلى الشخصيات الأسطورية الشخصيات التاريخية؛ لأن أعمالهم أضفت عليها المخيلة البشرية ملامح أسطورية، ومن هذا المنطلق عدّت أسطورية، وأصبحت منبعاً خصبا يمكن أن يستلهمها الكاتب ويحوّرها باعتبار الحركية الفكرية والتاريخية، ومثال ذلك شخصيتي (جان دارك، وجميلة بوحيرد). ويمكن في مرحلة متقدمة من تطوّر الأسطورة أن تتغير دلالتها، وتلبس بدلالات مجردة، فجان دارك رمز للثورة في مرحلة وللخيانة في مرحلة أخرى. ويسمح هذا التغير الدلالي والتخفف مما هو مقدس للأسطورة بالاستمرار والتجدد.

ويرى الكثير من علماء النفس مثل فرويد Freud ويونغ Jung وأتباعهما أن الأسطورة صورة تجسد رغبات الفرد أو الجماعة، كما تفسر الحياة الشعورية واللاشعورية للفرد والجماعة، وهناك من النفسانيين من حاول الربط بين الأسطورة والأحلام، حيث يرى يونغ أن الأساطير مثلها مثل أحلام اليقظة، كرسائل دائمة من اللاوعي تكشف عن حاجات ورغبات ومشاكل إنسانية مستديمة داخل السياق العريض

لمراحل نمو ونضج النفس.⁽⁸⁾ ومن هذا المنطلق تصور يونغ وظائف معرفية وتطهيرية للأسطورة.

ويؤكد علماء الاجتماع من جهة أخرى أن الأسطورة محاولة لشرح النظم الاجتماعية، وهي عامل جوهري يسهم في تحقيق الانسجام الاجتماعي داخل الجماعة الواحدة، كما تساعد في سنّ القوانين الاجتماعية المنظمة لحياة الفرد والجماعة. وعليه، فالأسطورة مصطلح عام وشامل لتصورات الإنسان البدائي، تتميز بخصائص تميزها عن غيرها من الظواهر التي تشترك معها في الموضوع أو في المادة أو في الأدوات الفنية، ومثلما اختلفت تعاريف الأسطورة فقد اختلف الباحثون حول خصائصها وقد ذهب بيرسميث "Pierre Smith" إلى أن الأساطير ليست كلها حكايات الآلهة، بل تحكي عن الأبطال وعن السلف وعن الحيوان؛ ولكنها تختلف عن الحكاية التاريخية والشعبية والخرافية لأنها قناعة يقينية بالنسبة إلى منتجها، تداولتها جماعة عبر الزمن؛ فهي مجهولة المؤلف تروى في قالب قصصي.⁽⁹⁾

و مما سبق ذكره يمكن أن نوضح أهم خصائص الأسطورة⁽¹⁰⁾:

* قناعة يقينية تكتسي طابعا قداسيا.

* مجهولة المؤلف، حيث تتبناها الجماعة فتصبح نتاجا يتداول في ممارسات طقوسية مختلفة.

* قصة تنسج في قالب سردي مادته الكلمة.

* ثابتة من حيث الجوهر ولكنها متغيرة زمانا ومكانا.

* شاملة لأنها تعالج قضايا الإنسان المختلفة.

وقد اختلفت وظائف الأسطورة من حقل دراسي إلى آخر ، فهي عند " نورثروب فري " (Northrop Frye) تتعدى الإبلاغ والتوصيل وتحاول أن تفسر خصائص المجتمع الذي أنتجها، كالطوطم، وأصل القانون، والنظم الاجتماعية. أما " بيار

برونال" (Pierre Brunel) فقد حدّد في مقدمة معجم الأساطير الأدبية ثلاثة وظائف للأسطورة وهي: التبليغية والتفسيرية والكشفية.⁽¹¹⁾

ويمكن أن نحمل أهم وظائف الأسطورة في وظيفتين جوهريتين هما: الوظيفة المعرفية التي تتمثل في التفسير والشرح والتعليل. والوظيفة التشريعية وتتمثل في التقنين والتشريع لتنظيم الحياة الفرد والمجتمع. ولا تحيد بحمل الأساطير التي ابتدعتها مخيلة الإنسان وحاولت من خلال رسم ملامحها أن تفسر من جهة وتقنن من جهة أخرى وفي بعض الأحيان أن تقوم بالوظيفتين معا أي التفسير والتقنين.

وقد تعددت أنواع الأساطير حسب الحقول الدراسية ومنطلقاتها المنهجية، فهناك من تحدث عن الأساطير الدينية والطبيعية والتاريخية والمجازية؛ فالأولى ترتبط بالعقائد والعبادات المستمدة من المنظومات الدينية أو الكتب المقدسة السماوية وغير السماوية، مع ما لحق البعض منها من تحريف وتغيير. أما الأسطورة الطبيعية التي تهدف إلى تفسير ظواهر الطبيعة الكونية من خلال ربطها بكائنات ما وراءية غيبية خارقة. وتحكي الأسطورة التاريخية عن شخصيات لها حضور تاريخي فعلي إلا أن المخيلة الجماعية الشعبية أضفت عليها طابعا أسطوريا. أما الصنف الأخير أي الأساطير المجازية فإنها مجرد مجازات فهمت حرفيا. وهناك من الدارسين من أضاف أنواعا أخرى كالطقوسية والتعليلية والرمزية وأسطورة الإله البطل.⁽¹²⁾

وقد آثرنا أن نتحدث عن نوع آخر من الأساطير، يكون التمييز فيه جنسيا، وقد تبلور هذا النوع حديثا من خلال جهود بعض الدارسين، فما كان تابعا للأسطورة الدينية أو الطبيعية أو التاريخية حاولنا أن نلحقه بما يسمى الأسطورة الأنثوية.

2- الأسطورة الأنثوية:

شغلت الأنثى بما امتلكته من مكونات طبيعية، وبما اكتسبته حيزاً معتبراً في التراث الإنساني، وتعددت المجالات التي تمكنت من امتلاكها، وأبرزت قدرتها على التفوق فيها سواء أكان ذلك في السياسة أم الاقتصاد أم الحرب أم الإبداع. وتبعاً لهذا تنوعت الأساطير الأنثوية على امتداد تاريخ الحضارات والمدنيات، حيث يقف المتأمل للتراث الإنساني على نماذج لا يمكن تجاهلها لنساء دخلن التاريخ والأسطورة من باهما الواسع، نساء قويات عقلاً وسلطاناً، ومنتجات أدبياً وسياسياً واجتماعياً وتاريخياً، وكنّ قوة موجهة ومؤثرة في تاريخ الحضارات، و«نجد في بلاد سومر التي قامت على الاقتصاد الزراعي والرعوي المتناسك، تأكيداً شديداً في الأساطير على تلك السيدات اللاتي تقلدن الزعامة وساهمن في تأسيس المدن والدولة وصياغتها، وتعكس أساطير الخلق السومرية مكانة رفيعة للمرأة سواء على المستوى الأرضي أو الميتافيزيقي، وهي تتحدث عن دور مهم للنساء في الحياة الحضارية.»⁽¹³⁾

ولعل ما يؤسس مشروعية الحديث عن أساطير أنثوية هو أهمية العنصر الأنثوي -بيولوجيا واجتماعيا ونفسيا- في تشكل الوجود البشري، حيث نالت الأنثى حصة الأسد في الفضاء الأسطوري الذي يشكل هويتها، فقصة خلقها من الضلع وتوحيدها بالحية وبالشيطان والطرْد من الجنة تشكل إطاراً مرجعياً لما ألحق بها على مرّ العصور من تشوهات، أضف إلى ذلك جملة التطورات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية التي مست المجتمعات منذ القدم إلى يومنا هذا.

أسهمت أدوار المرأة الاجتماعية في رسم صورة مميزة، وفي ولادة الأسطورة الأولى، وقد أسلم المجتمع الأول قيادته للمرأة لما تملكه من خصائص فزيولوجية وإنسانية، وقدرات خارقة ولما تميز به جسدها من إيقاع يتوافق مع إيقاع الطبيعة، «إضافة إلى عجائب جسدها الذي بدا للإنسان القديم مرتبطاً بالقدرة الإلهية، كانت

بشفافية روحها أقدر على التوسط بين عالم البشر وعالم الآلهة، فكانت الكاهنة الأولى والعرافة والساحرة الأولى. بهذه الأسلحة غير الفتاكة، مضى الجنس الأضعف قوة بدنية فتبوأ عرش الجماعة دينيا وسياسيا واجتماعيا، وأمام هذه الأسلحة أسلمت الجماعة قيادتها للأمم. «⁽¹⁴⁾. ولم تنقيد عبر العصور بما هو محدد لها طبيعيا واجتماعيا واقتصاديا بل حاولت أن تفرض نفسها في كل المجالات مما سمح برسم صورتين متناقضتين إحداهما ترفعها إلى مصاف الإلهة والأخرى تترها الحضيض.

يستدعي حديثنا عن الأسطورة الأنثوية تحديد معنى المصطلح المكون من الأسطورة وهي الحكاية المقدسة التي تفسر ظواهر مختلفة وتقن مختلف النظم التي ترتبط بالإنسان، أما الأنثى فهي ذلك الكائن البشري الذي يتميز بمجموعة من الخصائص الفزيولوجية والنفسية التي تميزه عن الكائن الآخر (الذكر)، كما تقوم بأدوار تفرد بها دون غيرها لعل أهمها حفظ النوع البشري، ويمكن أن نبرز جملة من الخصائص تجمع بين الأسطورة والأنثى وهي :

1- القداسة: الأسطورة قصة مقدسة وقناعة يقينية بالنسبة إلى منتجها ومستهلكها، والأنثى كائن مقدس بالنسبة إلى وجوده في أي ثقافة وإلى أهم الأدوار التي يؤديها.

2- التواصل: علاقة الأسطورة بالكون علاقة اتصال، يستمر من خلالها وجود الإنسان لأنها تحرص على تفسير الغامض وسن القوانين والنظم، وكذلك الأنثى فإن علاقتها بالكون علاقة اتصال، يستمر من خلالها وجود الكائن البشري؛ إذ تقوم بأجل وظيفة وهي حفظ النوع البشري.

3- التغير: تتغير الأسطورة زمانا ومكانا باعتبار جملة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية، وكذلك فإن أخص خصائص المرأة هي التغير وعدم الاستقرار على حال، فعنصر التغير مشترك بينهما-أي الأسطورة والأنثى- مع اختلاف دلالاته فهو في

الأسطورة مرتبط بتبدل الثقافات زمانا ومكانا بينما هو بالنسبة إلى الأنثى خاصية جوهرية فيها.

هذه العناصر الثلاثة تسهم في التقريب بين المصطلحين، وتؤسس في الوقت نفسه مصطلحا مشتركا هو: الأسطورة الأنثوية؛ وهي حكاية مقدسة أبطالها نساء خارقات، قويات بارزات الحجة والبيان أثبتن وجودهن في مجتمعاتهن، إلى درجة أن الكثيرات برزن إلى الوجود عندما عجز الرجل عن أداء المهام المنوطة به، فظهرت في مختلف المجتمعات أسماء نساء البعض منهن لم تلدهن نساء وإنما أنجبهن الخيال البشري. والبعض الآخر ولدتهن أمهاتهن، وكان لهن وجود في التاريخ قمن بأعمال عظيمة أو وقفن مواقف بطولية صعبة أو حاجمن العدو الغاشم، «لقد كانت المرأة سراً أصغر مرتبطا بسرّ أكبر، سرّ كامن خلف كلّ التبديلات في الطبيعة والأكوان، ف وراء كلّ أنثى كونية عظمى، هي منشأ الأشياء ومردّها. عنها تصدر الموجودات وإلى رحمها يؤول كل شيء كما صدر.» (15)

تعددت الأساطير الأنثوية بتعدد الثقافات وتجلت في الأساطير الوثنية وفي الديانات وفي آداب الأمم المختلفة، حيث قامت هذه الأساطير بأدوار مختلفة، وقدمت إجابات عن أسئلة كثيرة أرقت الإنسان الأول، كما نسجت حول الأنثى تصورات منذ القدم؛ وكانت أسطورة الأنثى في الثقافات البدائية تفسر كيف خلقت المرأة ولماذا وتشرح علل الكثير من نوازعها ورغباتها الجلية والمستترة.

ويؤكد معظم الأنثروبولوجيين -استنادا إلى بقايا النقوش والآثار- أن المرأة قدست في المجتمعات البدائية باعتبارها واهبة للحياة. فالنساء وحدهن يمكنهن إنسال نوعهن، وعلى هذا فإن المجتمعات البشرية القديمة لم تكن تفهم بعد فهما زاعيا علاقة الجنس بالتناسل. وبالتالي فإن مفاهيم الأبوة لم تكن قد أدركت بعد. (16) وبعد سيادة الذكر وانحلاء بعض الغوامض بفعل بعض العوامل (الدينية والاقتصادية) تدنس المرأة،

ولاشك أن رحلة أسطورة الأنثى زمانا ومكانا، وتأرجحها بين التقديس والتدنيس أسهم في تنوع الأساطير واختلافها عند الشعوب، وإن كانت تتفق حول جملة من الثوابت، أكدت أن مكانة المرأة مميزة خاصة في المجتمع الأول، حيث منحت صلاحيات موسعة، وأسست نظاما أموميا.

تسهم جملة من العوامل في تأسطر الأنثى، بعضها مرتبط بها؛ أي جملة الموصفات الجسمية والجمالية التي تتميز بها المرأة، إذ تعتمد عليها كأسلحة وهي تحمل قيمتين متناقضتين (العفاف/العهر)، وبعضها خارجي ينتج عن ظروف تاريخية مثلا فقد تنشأ الأساطير المؤنثة التي تعيد إلى الوطن الإحساس بالرفعة وتكون (المهدية المنتظرة)، «وقد تنحاز الأسطورة الوطنية إلى المرأة على حساب الرجل حتى، وذلك لأن الأساطير (المؤنثة) تنشأ غالبا بعد هزيمة جيوش الرجال، في المعارك التاريخية الحادة، أمام جيوش أعداء متفوقين، أو غادرين في أغلب الأحيان! فتنهض المرأة (البطل المؤجل غير المقصي)، لتعيد إلى قومها مجدهم، وإحساسهم الأزلي بالرفعة والتفوق.»⁽¹⁷⁾

وعموما فإن هذه العوامل مجتمعة خلقت صورتين متناقضتين للأنثى إحداهما إيجابية والأخرى سلبية، وقد أسهمت ثلاثة مرتكزات في تأسطر الأنثى، وفي رسم جملة من الخصائص تختلف من مرتكز إلى آخر، كما يختلف التعامل مع الأنثى (في مكوناتها المادية والمعنوية)، وتأرجحت صورة الأنثى بين قيمتين متناقضتين إيجابية وسلبية، وأهم هذه المرتكزات:

1- المرتكز الأسطوري: الأنثى في المجتمع الأول (الأسطوري) مقدسة، فهي عذبة وقوية وجملها مكمل لخصائصها الأخرى، ويمكن أن نجزم بأن الفكر الأسطوري أعطى الأنثى حظها كاملا جمالا وذكاء وأمومة، وتومئ بحمل النصوص الأسطورية التي عثر عليها للسومريين أو البابليين أو المصريين على مكانة متميزة وصلت إليها المرأة، إذ تحولت إلى قيمة رمزية (إنانا، وعشتار، وإيزيس). ولعل ربط المرأة بالطبيعة والكائنات ساهم في

التقريب بينها وبين عناصر الوجود المختلفة، وأضحت فيما بعد رموز مرتبطة بها مثل: "القمر، الأرض، البقرة"، كما أقصت بعض الأساطير الحدود الجسدية الأنثوية ورفعت الأنثى إلى تخوم القداسة عند كل الشعوب (عبادة الإلهة الأنثى: إينانا/عشتار/اللات/العري مناة). ويمكن أن نشير هنا أن الأساطير قد برأت المرأة من العيوب التي ألحقتها بها المراكز الأخرى، وقد تمذجت المرأة وقدمتها، بعد التقشير الجسدي، في أفضل صورها، إذ تراوح دور المرأة بين الإلهة والملكة، والبطلة القومية، بعدما أن جرى التأكيد على كيانها كله؛ أي عقلها وروحها وجسدها ووظائفها الكونية والإنسانية. (18)

2- المرتكز الديني: بدأت الأنثى في فقدان مكانتها الأولى باعتبارها رمزا للطهر والنقاء، وأصبحت مرتبطة بالشیطان والحية، والخطيئة الأولى، « فالعلاقة بين المرأة والشیطان تتواتر بكثرة شديدة خاصة في نصوص وأساطير الخلق الأولى عند عديد من ملل ونحل الشعوب و القبائل السامية العربية. ومنها فكرة توحد الشيطانة ليليت⁽¹⁹⁾ بالحية، وهي معروفة عند الساميين بجواء الأولى، والتي عادت بدورها وتوحدت بالحية، خاصة عند القبائل العربية، ففي التوراة أن أصل الإنسان من الحية، الحية من الجن. وتبردت هذه التخمينة في عديد من أسفار الخلق و البدء عند أغلب ملل ونحل الشرق الأدنى»⁽²⁰⁾. وقد نسجت قصص كثيرة ترسم صورة سلبية للمرأة وتركز على جوانبها الجسدية وتلحق بها وزر كل الأخطاء التي وقعت فيها البشرية، ومست هذه القصص الأنبياء⁽²¹⁾. ونالت كلها من كيان المرأة وشهرت بها، وسلبتها سلطاتها خاصة أثناء سيادة قصص الخلق التوراتية؛ فمنها ابتدأت الخطيئة وبسببها نموت جميعا.

لكن ستتعيد المرأة قدسيتها في التراث المسيحي حيث « ما تلبث أن تعيد للأُم الكبرى سابق مجدها وسلطانها، وتبدأ مريم العذراء رحلتها من أم يهودية تقية، كما تبدو في الأناجيل، إلى أم كونية ووالدة للإله الذي اقترب من البشر بدخوله في تاريخهم

وتجسده في عالمهم، ومروره عبر جسد الأم الكبرى طفلا لها. «⁽²²⁾، ورغم أن المرأة قد استعادت صورتها الإيجابية من خلال السيدة مريم إلا أن بعض الثقافات الكهنوتية لازالت تمارس سيطرتها وتحاول النيل منها والخط من مكانتها. وبمجيء الإسلام عرفت المرأة فضاءات أخرى وارتبطت بها أسماء جديدة: (الصحابية والمجاهدة والشهيدة والراوية)، وعليه فإن الأنثى دينيا تأرجحت مكانتها بين التقديس والتدنيس وذلك وفقا لحركية المجتمع زمانا ومكانا.

3- **المرتکز التاريخي:** أسهم هو الآخر في تأسطر الأنثى في مراحل تاريخية معينة مرّت بها المجتمعات، حيث برزت الأنثى المخلصة والملكة القوية عقلا وذكاء، والمخاربة (كليوباترا/بليس/زنوبيا..)، وقد خضعت نساء التاريخ إلى التزيه وارتفعن إلى قمم سامية، وشاركت المرأة في قيادة الجيوش وفي التمهيد للحروب معتمدة على إمكاناتها الجسدية والمعنوية أي الحكمة والذكاء⁽²³⁾، وقد أسهم الخيال الشعبي في تنقية دور المرأة ووضعها في حيز أسطوري أعاد إليها قداستها ونقاءها بعيدا عن تخوم حسية جسدها، مما أهلها لأن تكون ملكة وقائدة ومخلصة. ولم تمتلك المرأة تاريخيا السلاح المادي فحسب بل امتلكت سلاحا أخطر أسهم في تخليص بنات جنسها من الفناء كما هو حال شهرزاد.

وبقي أن نشير في هذا السياق أن التصورات التي ألحقت بالمرأة تاريخيا تختلف من بيئة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر، فقد ترفع بعض النصوص من قيمة "جان دارك" ولكن بعض النصوص الأخرى المعادية قد تسلبها وطنيتها، ويبقى المرتکز التاريخي مرتبط بما ورد في النصوص بمختلف أنواعها.

مما سبق ذكره يتضح أن هذه المرتكزات مجتمعة أسهمت في تأسطر الأنثى، وإن اختلفت درجتها، وفي استمرار الأسطورة في خيال الشعبي بعد زوال التأثير الديني والروحي. فالمرتکز الأسطوري حرّر المرأة في مرحلة معينة، والمرتکز الديني سجنها في

فترة معينة داخل حدودها الجسدية الشهوانية، أما المرتكز التاريخي فقد سيدها في مراحل تاريخية معينة، ويمكن أن نضيف مرتكزا آخر هو الاقتصادي أسهم هو الآخر في رسم صورة للمرأة تراوحت بين السلبية والإيجابية، وهذا ما حاولت النصوص الإبداعية أن تبرزه.

وعموما يمكن أن نبرز ثلاث كفاءات تسهم في فاعلية وحركة الأسطورة الأنثوية وهي:

***الكفاءة الجنسية:** أي ما تمتلكه الأنثى من خصائص جنسية تؤهلها لأن تكون موضوعا للجمال والخصب والتواصل، ويمكن أن نحدده بالعبارة " الأنوثة الجنسية " ، وبطبيعة الحال يفتح التحديد على جملة من القيم المتناقضة: (الطهر/العهر/الوفاء/الحياة).

***الكفاءة الاجتماعية:** القدرة على التواصل وبناء العلاقات أو ما يمكن أن نسميه الانجذاب الاجتماعي، حيث تمتلك الأنثى قدرة خارقة على البناء والتأسيس انطلاقا من أصغر وحدة في المجتمع وصولا إلى أعلى وحدة اجتماعية، وتحاول الأنثى من خلال هذه الكفاءة أن تستثمر كل مؤهلاتها الأنثوية اجتماعيا.

***الكفاءة العقلية:** القدرة على التدبير والتفكير أي صنع القرار والتحدي خاصة في المراحل الحرجة عندما تغيب الذات الذكورية الفاعلة، وغالبا ما تسهم التركيبة الاجتماعية في تأهيل النساء دون غيرهن، وتسهم المكانة الاجتماعية في تقديم بعض النساء الموهوبات فكريا وعقليا، ويمكن أن نذكر في هذا السياق الملكة بلقيس، وشهرزاد، وزنوبيا...إلخ

يختلف التدرج في هذه الكفاءات من أنثى إلى أخرى، فهناك من ركزت على الكفاءة الأولى وهناك من بقيت حبيسة الكفاءة الثانية وهناك من جسدت الكفاءات الثلاثة، وعليه حققت ما يمكن أن نسميه الأسطورة الأنثوية ودخلت مجالات عدّة ولعل أبرزها الأدب.

الخاتمة:

وجمّل القول حظيت الأنثى بمكانة مميزة في التراث الإنساني، وتأرجحت بين قيمتين متناقضتين إيجابية وسلبية، والحقيقة أنه مع ظهور الديانات السماوية بدأت تنسج حول هذا الكائن الجميل الضعيف أساطير متنوعة بدءاً من قصة الخلق وصولاً إلى الحوادث التاريخية والحروب والمآسي المختلفة، فهي الحرة والبغي والموءودة والثائرة، حملت كثيراً من صفات التحول والتمرد داخلها، واستطاعت أن تحدّد هويتها وهوية الآخرين، وعندما تنصدّر الأنثى الحكاية، وتتجلى كمنتجة لنسيج قصصي يتجاوز حدود الإقليمية ليكون سفراً عالمياً تتأكد حقيقة الأنثى المخلصة وصانعة الهوية والكلمة؛ فعندما يذكر كتاب ألف ليلة وليلة يسنده الراوي الشعبي إلى منتجته شهرزاد، وعليه يمكن القول إن الوظيفة التي كانت تؤديها ليليث في الأساطير القديمة - المناغة والهددة - استعادتها شهرزاد في ألف ليلة وليلة وتمكّنت من تهدئة شهريار من جهة ومن امتلاك فعل الكلام والحكي من جهة أخرى ومن ثمة يجد القارئ نفسه أمام كتاب ذو هوية أنثوية، وهناك أمثلة كثيرة عن أساطير أنثوية مصادرهما متنوعة غزت الساحة الأدبية والفنية، وأعيد تقديمها وفقاً لمتطلبات العصر وضروراته المختلفة وتبعاً لقناعات الموظّف وفلسفته.

الهوامش

- 1- ميرسيا إلياد : صور رموز، ت حسيب كاسوحة ، دمشق، 1998، ص79.
- 2- السواح (فراس): مغامرة العقل الأولى، دار علاء الدين، ط11، 1996، ص21.
- 3- Eleade (Mercea): Aspects du mythes, édition Gallimard Paris, 1964, p10.
- 4- أنظر: ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، (د.ت)، مادة (س ط ر).

5-Smith Pierre : Encyclopeidia Universsalis, (Mythe) éd 1992 , T 15
P 1037 .

6- Eleade (Mercea): Aspects du mythes, p15.

7- تيغم(بول فون):الأدب المقارن، تعريب سامي مصباح الحسامي، منشورات المكتبة
العصرية، صيدا، بيروت، ص.80

8-قنشت ب.ليتش:النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الأربعينات، ترجمة محمد
يحي، مراجعة وتقديم ماهر شفيق فريد، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص136.

9-Smith Pierre : Encyclopeidia Universsalis, (Mythe) éd 1992 , T 15
P 1037 .

10-أغلب هذه الخصائص أشار إليها فراس السواح في كتبه التي قدم فيها تصورا
للأسطورة وخصائصها وأنواعها، أنظر: فراس السواح:الأسطورة والمعنى، دار علاء
الدين، سوريا، ط2، 2001، ص12.

11-Brunel (Pierre) et les autres: Dictionnaire des Mythes Littéraires,
édition du rocher, Paris, 1988, préface.

12- حول أنواع الأساطير أنظر: أحمد كمال زكي: الأساطير، دار العودة بيروت،
ص52/46. ونبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، مكتبة غريب، القاهرة،
ص.23

13-كديور (جميلة): المرأة رؤية من وراء جذر، ترجمة سرمد طائي، دار الفكر المعاصر،
لبنان، ط1، 2001، ص104.

14-السواح(فراس):لغز عشتار،"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"،دار
المنارة، سوريا، ط4، 1990، ص32.

15-السواح(فراس):لغز عشتار،"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"، ص.25

16- ستون (مارلين): يوم كان الربّ أنثى "نظرة اليهودية والمسيحية إلى المرأة"، ترجمة
حنا عبود، الأهالي للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص38

17- حجاج(كاظم): المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص39.

17- الحجاج(كاظم): المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، ص67.

19-ليليث: امرأة تحمل صورتين متناقضتين: الأولى تجعلها حامية للصغار، والثانية تجعلها شيطانة تجلب البؤس والشقاء للإنسانية. انظر: معجم الأساطير الأنثوية/برونال.

20-راجع قصة الخلق سفر التكوين ، وكذلك قصص المتداولة حول إبراهيم عليه السلام وسارة، ولوط وابنتيه

21- عبد الحكيم (شوقي): موسوعة الفلكلور و الأساطير العربية، دار العودة، بيروت، ط1، 1982، ص186.

22- السواح(فراس):لغز عشتار،"الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة"، ص59.

23- يمكن أن نذكر في هذا السياق نموذجين:الأمازونيات/(محاربات أقصين أنوثة المرأة، وكذلك أيوديت التوراتية: امرأة أرملة اشتهرت بجملها الخارق، الذي استغلته في الإيقاع بالعدو؛ التسلسل إليه وإغرائه ثم قطع رأس القائد، وتشيت جنوده.